التوراة وجثث الفراعنة المحنَّطة في متحف الجيزة

للاب يوسف ارتفاج اليسوعي

لم يمرّ على متحف الجيزة عشرون سنةً منذ اخذت مباهدهُ تزدان بآثار مصريَّة جمَّة اكتشفها الفرنسيُّون الذين تولّوا نظارة هذه العاديات. وانما الفضل العظيم في هذه الاكتشافات يعود خاصَّةً للعلماء المبرّزين مَسپرو وغريبو ودي مُرْغان ولُوره. فهم الذين أغنوا المتحف المصريّ بآثر عديدة اصبح مجموعُها لا مثيل لهُ في العالم اجمع كيف لا وهو يحتوي على اجسام اشهر الفراعنة الذين استولوا على مصر. وكانَّ جثثهم المحنَّطة الملفوفة بالعصابات والمضَّجعة بالنواويس تنطق اليوم بلسان حالها وتُفصح عن احوال الشعوب القديمة فضلًا عن انَّها شاهد صدقٍ عن تاريخ بني اسرائيل وصحَّة الكتب المقدَّسة. ونبذتنا هذه انَّما غايتها بيان هذه الفوائد التاريخية. ونحن على يقين انَّ قرّاء المشرق يرغبون في مثل هذه المقالات التي من شأنها ان تنير العقول وتثبت روح الايمان في القلوب

١

وقبل ان نورد ما يُستفاد من نظر جثث الفراعنة في متحف الجيزة لنهم الاسفار الالهية احببنا ان نلخّص هنا لزيادة الفائدة تاريخ اكتشاف نواويس هؤلاء الملوك

بينا كان العلَّامة مسپرو متولّيًا ادارة التفتيش على العاديَّات المصريَّة في سنة ١٨٨١ اذ استدلّ ببعض الدلائل على انَّ في الصعيد خبايا يستخرج منها عرب تلك النواحي ما شاؤوا ليرتزقوا بثمنه. فجعل يتأثَّرهم ويتحرَّى للاطّلاع على سرّهم الى الحيلة مرَّةً والى القوَّة اخرى حتى وقف على مبتغاهُ فادخلوهُ في سرب محفور في الجبل بمقربة من دير البحري على ضفَّة النيل الشمالية بازاء الأقصُر. فلمَّا ولج هذا المخبأ وجده مدفنًا لتسعة وعشرين جثَّة محنَّطة منها جثث ملوك وملكات وامراء. وكان في نواويسهم اشياء كثيرة ثمينة دُفنت معهم كمصاغات وجواهر واوعية قديمة وعلمٌ جرًّا

ومدار كلامنا في هذه الخلاصة على جثث ملوك مصر ودونك اسماء هؤلاء الفراعنة على ترتيب ملكهم:

١ سكينن را (او) رع (١ ٥ تحوتمس الثالث
٢ أحمس الاوّل ٦ يتي الاوّل
٣ امينوفيس الاوّل ٧ رعمسيس الثاني (وهو المشهور عند اليونان بسيوستريس)
٤ تحوتمس الثاني

وكلّ هذه الجثث السبعة في متحف الجيزة قد عُرضت هناك للزوّار

وفي السنة الجارية تمكّن المسيو لُوره مُناظر العاديات المصرية حالًا من اكتشاف آخر ذي خطارة عظيمة اتّصل اليه باعتبارات تستند الى علم الآثار فوقف في وادي باب الملوك او بيبان الملوك في شمالي شرقي دير البحري على مخبأة ثانية تتضمّن كثيرًا من اجسام الفراعنة (راجع المشرق ص ٥٨١) وصورة هذا المدفن شبيهة بالمدفن السابق ذكرهُ وهذه اسماء الملوك الذين وُجدت جثثهم تروسها على سياق التاريخ:

١ امينوفيس الثاني ٦ رعمسيس الثالث
٢ تحوتمس الرابع ٧ رعمسيس الرابع
٣ امينوفيس الثالث ٨ رعمسيس الخامس
٤ سيتاح ٩ رعمسيس السادس
٥ يتي الثاني ١٠ (امينوفيس الرابع) او منتاح

وقد حدث بين علماء الآثار المصريّة بعض اختلاف في قراءة اسم الملك العاشر منتاح. فانّ اسمهُ كان مكتوبًا على تاروسهِ باللغة المعروفة بالهيراتيّة اي المقدّسة لشيوعها بين الكهنة فارتأى المسيو لُوره في المقالة التي قرأها امام مجمع العلماء المصري (في ١٣ ايّار سنة ١٨٩٨) انّ اسم هذا الملك هو خوتاتين اي امينوفيس الرابع (راجع المشرق ص ٥٨٢) الذي عقب امينوفيس الثالث في الملك بيد انّهُ يوجد شبهٌ كبير بين هذا الاسم واسم «باه إنْ رع» اي منتاح في الكتابة الهيراتية فرجّح المسيو ويلم غروف انّ القراءة الصحيحة هي باه ان رع وان الملك العاشر هو منتاح لا امينوفيس الرابع مستندًا بذلك الى بعض ملاحظات لغويّة وتاريخية دقيقة تشهد لصاحبها بتوقّد الفهم وقد صوّب رأيهُ المسيو إرْمان والمسيو مسپرو وغيرهما للاسباب الآتية

اعلم ان اكثر ملوك وامراء الدول الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين قُبروا في مقابر خاصّة لا تزال مواقعها معروفةً تدلُّ عليها كتابات يرتقي عهدها الى تلك الازمنة. اما جثثهم المحنّطة فقد وُجد اغلبها في مخابئ لم تكُ في الاصل مدافنهم. ومن الامور الغريبة

١) ويجوز راسكنن. وقرأهُ مسپرو: سكنن رع

انّ اجسامهم وجدت بصحبة اجسام عظماء كهنة عمُّون. ولذلك سببٌ خفيٌّ كشفت الآثار القديمة سرَّه

بعد ان صار الامر في ثيبة (وهي الاقصر) للدولة العشرين اخذ حبلُها ينتقض وقوَّتها تتضعضع فاعتصبت جماعاتٌ من اللصوص وجعلوا يطرقون البلاد نهبًا وسلبًا وأدَّت بهم الوقاحة الى ان انتهكوا حمى القبور ليتزعوا منها ما أُودعتهُ من الحليّ الثمينة (راجع المشرق ص ٥٨٠) وهذا العمل الذميم قد شهدت بهِ كتابةٌ قديمة وُجدت منذ عهد قريب. فنهض اذ ذاك قومٌ من اصحاب النخوة وهم عظماء كهنة الإله عمُّون ونقلوا اجسام الملوك الفراعنة من مدافنهم الاصلية الى مخبأة جمعوا فيها اجسام الكهنة المحنَّطة صونًا لها من ايدي الاوباش المتلصِّصين. وقد قام هؤلاء الكهنة بهذه المبرَّة لسببين: اوَّلًا لما كان عليهِ الفراعنة المذكورون من التقى والتعبُّد لإلههم عمُّون. وثانيًا شكرًا منهم لاولئك الملوك الذين اجزلوا لهم العطايا السنيَّة والاوقاف الواسعة

بيد ان عمينوفيس الرابع المدعو خوناتين كان من ألدّ اعداء كهنة عمُّون واستبدل دين هذا الاله بعبادة الشمس ونقل حاضرة الملك من ثيبة الى تلّ العمارنة التي تُعرَف اليوم بحجي قنديل بقرب الملوى وحمل بهِ بغضهُ لعمُّون وسدَّته الى ان ازال اسم هذا الاله من الآثار المصريَّة حيثما وجدهُ. فكيف يقبل العقل ان يكون كهنة عمُّون في أيام السلالة العشرين اهتمُّوا بجثَّة ملكٍ غلَّت في قلبهِ مراجل العداوة نحوهم او كيف وضعوهُ في مدفن احبارهم وهم يعتدّونهُ مارقًا من الدين خارجيًّا. فمن منَّا يتصوَّر مثلًا احد احبار الكنيسة يسعى في إنقاذ جسم بعض المبتدعين كنسطور او لوثار ليودعهما في المقابر المقدَّسة. امَّا منفتاح فكان بخلاف الامر. احد المتعبِّدين للاله عمون فحقَّ على عظماء الكهنة ان ينجُّوا جثَّتهُ من الهوان كما نجَّوا جثَّتَيْ ابيهِ رعمسيس الثاني وجدّهِ سِتي الاوَّل. فهذا برهانٌ وطيد أوضحهُ المسيو غروف ورجَّح بهِ رأيهُ على رأي المسيو لُوره

وعليهِ فنظنُّ نحن ايضًا انَّ هذه المومياء هي جثَّة الملك منفتاح لا عمينوفيس الرابع وقد ملك منفتاح بعد رعمسيس الثاني

٢

انَّ في ما سبق توطئةً للغرض الذي نحن نتوخَّاهُ في هذه المقالة. وهاك مجمل اسماء الملوك السبعة عشر المذكورين على حسب ترتيب جلوسهم على منصَّة الملك. وقد صدَّرنا

بنجمة اسماء الملوك الذين وقف على ضريحهم العلّامة مسپرو وبصليب الذين اكتشفهم المسيو لوره . وهو لم ينقلهم بعد من باب الملوك الى الجيزة . امّا الاسماء التي وُضعت بين هلالين فتدلُّ على فراعنة لم تُكتشف بعدُ اجسامُهم وستّة منهم اسماؤهم مجهولة . اشرنا اليهم بخطّ :

* سكنن را (اوزم)	(—)
* احمس الاوّل	(رعمسيس الاوّل)
* امينوفيس الاوّل	* سيتي الاوّل
(تحوتمس الاوّل)	* رعمسيس الثاني (سيوستريس)
* تحوتمس الثاني	+ منفتاح
(حَتْشو پسيتو الملكة)	(—)
* تحوتمس الثالث	+ سپتاح
+ امينوفيس الثاني	سيتي الثاني
+ تحوتمس الرابع	(—)
+ امينوفيس الثالث	+ رعمسيس الثالث
(امينوفيس الرابع)	+ رعمسيس الرابع
(—)	+ رعمسيس الخامس
(—)	+ رعمسيس السادس
(—)	

فاذا تصفّحنا الآن سفر التكوين وجدنا ذكر مصر وفراعنتها مكرّرًا في عدّة فصول غير انّ التاريخ الذي يهمّنا في هذه النبذة انّما هو تاريخ العبرانيين منذ عهد يوسف الى ايّام خروج ذرّيّة يعقوب منها ونجاتهم على يد موسى كليم الله

امّا اخبار يوسف فقد جرت في ايّام الملوك الرُعاة واصل هؤلاء الفراعنة قبائل عديدة اسيويّة من الحثيين والكنعانيين وغيرهم كانوا يسكنون في شمالي سوريّة وشرقيها . بيد انهم زاحمهم في ارضهم ملوك اقوياء شنّوا عليهم الغارات فاحتلّوا بلادهم واجاؤوهم الى ان يرتادوا لهم بلادًا أُخر . فزحفت هذه القبائل الى الغرب رجاء ان تجد لها ممالك خار عودُها فتجعلها محطًّا لعصا ترحالها او غنيمة باردة لمطامعها . فسار قسمٌ من هذه القبائل الغازية الى جهات مصر وهم يعلمون ما هي عليه من خصب التربة وسعة الثروة فانقضّوا على وادي النيل ولا انقضاض النسور القشاعم وغلبوا ملوكها الاصليين ودفعوهم الى جنوبي البلاد حتى خلا لهم الجوُّ ودان لهم القاصي والداني ورتعوا في مصر السفلى عند سواحل

البحر وامتدَّ ملكهم الى الفيُّوم وكان افتتاحهم لمصر نحو سنة ٢٢٠٠ قبل المسيح. ثمَّ بنوا مدينة هواريس (١ وجعلوا تانيس قاعدةً لملكهم. وهؤلاء الغزاة هم الذين يُدعون بالملوك الرعاة واسمهم الشائع هيكسوس اي رؤساء الغُزاة. ثم اخذوا يأتنسون بالمصريين ويقتدون بعوائدهم ويتكلَّمون بلغتهم ويستعملون كتابتهم وطال ملكهم في ارض مصر

ففي عهد هؤلاء الملوك الرعاة جرت قصَّة يوسف العجيبة التي ورد ذكرها في سفر التكوين فانَّ دخولهُ مصر مع التجار الاسماعيليين وبيعهُ هناك لفوتيفار ثمَّ تبرئة ساحتهِ من التُّهم وارتقاءهُ الى الجاه المتَّسع والرتبة العليَّة عند فرعون كلّ ذلك قد جرى في أيام احد ملوك الهيكسوس اسمهُ أبوفيس(٢. هذا ما رواهُ قدماء المؤرخين واثبت صحَّتهُ ثقات العلماء الباحثين عن العاديَّات المصريَّة

بيدَ انَّهُ من الراجح ان يوسف بقي متولّيًا نظارة مصر بعد وفاة أبوفيس في عهد خلفهِ وقد تضاربت آراء المؤرّخين في تعيين اسمهِ. ومن الامور الحريَّة بالاعتبار انَّ التقاليد العربية تدعو الفرعون الذي نصَّب يوسف على مصر « الريَّان » وينسبهُ مؤرخو العرب الى العمالقة وربَّما سمّوهُ « فرعون يوسف ». فكان هذا التقليد يُعدّ من الاسانيد الباطلة التي لا يُعبأ بها. غير انَّ المحدثين وجدوا في هذا القول من الصحَّة ما لم يكن في حسبانهم. والحقُّ يقال انَّ يوسيفوس المؤرّخ في كتاب العاديات اليهوديَّة ذكر في قائمة ملوك الهيكسوس خلفَ ابوفيس ودعاهُ « يانا » والتصحيف بين هذين الاسمين سَهْل سواء صُحّف يانا بريَّان او بالعكس. وما لا ريب فيهِ ان العلاَّمة المحقّق نائيل وجد سنة ١٨٨٨ في تلّ البسطة (Bubaste) اثرًا قديمًا ورد فيهِ اسم « يان را » كما انَّهُ يوجد في المتحف البريطاني في لُندن تمثال اسدٍ حُفرت عليهِ كتابة جاء فيهِ هذا الاسم نفسهُ « يان را ». فالنون والراء في هذه اللفظة من الحروف الليِّنة التي كثيرًا ما تُدغم فصار الاسم « يانا » كما رواهُ يوسيفوس. امَّا رواية العرب « ريَّان » فمُشتقَّة من الاسم المصري وذلك ان لقب « را » او « رع » في الاسماء المصريَّة يجوز تقديمهُ او تأخيرهُ على سواء. فيقال « يان را » او « را يان » والعرب نقلوهُ عن صورتهِ هذه الاخيرة كما ترى فدعوهُ « ريَّان »

---

١) وجدناها مرَّتبة جواريس واواري وافاري (المشرق)

٢) وهو الذي يدعى في تاريخ مصر « ابيبي » وكتبهُ البعض « ابابي »

لا يخفى انَّ سفر التكوين ينتهي بخبر وفاة يوسف. ويلي هذا السفر الاوَّل سفر خروج بني اسرائيل من ارض مصر واجتيازهم بحر القُلزم. ألا انَّهُ بين عهد يوسف والفرعون ابوفيس الى زمن نجاة بني اسرائيل على يد موسى الكليم اربعمائة وثلاثين سنة كما يؤخذ من سفر الخروج (ف ١٢ ع ٤٠)

فيظهر من ثمَّ انَّ بين السفرين (التكوين والخروج) عهدًا طويلًا لم نحصل على تفاصيل اخباره لوكه. فلمَّا لم يجد مصنف هذين السفرين داعيًا لسَرْد هذه الاخبار التي تخصّ التاريخَ المدنيَّ اكثر منها التاريخَ الديني ضرب عن ذكرها صفحًا. وهذا النقصان التاريخي يُستدَلّ عليهِ من نفس السفرين المذكورين لانك ترى بني يعقوب في آخر سفر التكوين راتعين في مجبوحة الهناء يرعون مواشيهم في ارض جاسان الخصبة. وتراهم بعكس ذلك في مُنتصف سفر الخروج في حالة من الضنك والعناء يستعبدهم « فرعون لا يعرف يوسف » ويبهظهم بأحمال تنوء عنها مناكبهم منها تسخيرهم ببناء مدينتي رَعَمسيس وفيثوم. فأنَّى هذا الاختلاف بين حالتي شعب الله وكيف انقلب العبرانيُّون من اوج السعد الى هوَّة الذلّ والهوان فهذا سرٌّ كان مكنونًا حتى ازالت عنهُ القناع الكتابات المصريَّة واكتشاف جُثث الفراعنة المحنَّطة في دير البحري وباب الملوك

قد ورد في جملة هذه الآثار القديمة ان احد الملوك الوطنيين اسمهُ « سكنن را (١ » المتملّك في ثبة من اعمال الصعيد حاول ان يكسر شوكة الملوك الرُّعاة الغرباء فجاهر بالحرب الملكَ ابوفيس المالك في ايَّام يوسف. فنهض ابوفيس للمدافعة عن ملكهِ وابلى في ذلك بلاءً حسنًا حتى فلَّ شباةَ اعدائهِ وقتل ملكهم سكنن را في باحة الحرب. وهذا امرٌ تشهد عليهِ جثَّةُ الملك سكنن را الموجودة في متحف الجيزة وهي مُثخنة بالجراح التي اصابتهُ في القتال فانَّ فأس العدوّ قد قطعت لهُ خدَّهُ اليُمنى مع فكّهِ السفلي. وثالثةٌ على رأسهِ ضربةٌ اخرى اثَّرت في الجمجمة فشجَّتها وسال منها نخُّ الملك وقد يُلي بضربة ثالثة وهي ضربة رُمح او مديةٍ نفذت قرب حجاج عينهِ اليُمنى (٢

---

١) ويجوز را سكنن (راجع ص ٨٨١)

٢) وعليهِ فانَّ ما رواهُ المقتطف في عدده السادس من السنة الجارية (ص ٤٣٩) ليس بسديد حيث عزا الانتصار لراسكنن على ابوفيس والامر بعكس ذلك. ولو زار كاتب هذه المقالة «المحقق» متحف الجيزة لعرف خطأهُ هداه الله (المشرق)

ولم تزل الحرب منتشبةً بين الفريقين مدّةً دون ان يظفر المصريّون باخصامهم حتى ضبط عنان الملك احمس الاوّل احد خلفاء سكينن را وتمكّن من قطع نظام الرعاة وتعفية آثارهم. ففتح عنوةً عاصمة ملكهم تانيس واستولى بعد حرب عوان على هواريس وكلّ البلاد الشماليّة. ومن يتفرّس في موميا هذا الملك بمتحف الجيزة يجد به رجلًا قصير القامة متجعّد الشعر ذا هيئة تُوذن بالسطوة والبأس. والشدّة والمراس. وهو منشئ الدولة الثامنة العشرة. وبقيت هذه الحرب على ساق نحو ١٥٠ سنة

وبعد قهر الملوك الرعاة اضحت حالة العبرانيين حرجةً لانّهم كانوا في ظلّ حمايتهم. بيد ان الفراعنة الوطنيين ضنًّا منهم على الفلاحة والزراعة لم يطردوا من ارض مصر كلّ شعب الهيكسوس. بل تركوا منهم من لم يخافوا شرّهم وأذاهم ولا يزال الى يومنا من سلالتهم بقيّةٌ بين الصيّادين الذين يرتزقون بهنتهم على شاطئ بحيرة المنزلة فانّ هيئتهم وتقاطيع وجههم اشبه شيء بصوَر الملوك الرعاة المحنّطة مومياهم بالجيزة. لكنّ هذا الشعب المتخلّف بمصر من الهيكسوس بقي متذلّلًا مُهانًا. وعلى هذا المنوال ساءت احوال العبرانيين وكانوا منذ أيام يوسف نموا نموًّا عظيمًا فاستخار كثيرون منهم الاقامة في مصر على العود الى اوطانهم القديمة. وذلك ما يبيّن لنا بنوع جليّ ما لحق بهم من الجنف والامتهان وسوء المعاملة

وقد زاد بلاء العبرانيين بعد وفاة احمس الاوّل لمّا دخل خلفاءهُ روحُ الحميّة والتزوات لاسيّما في أيام تحوتمس الثالث (راجع الجدول ص٨٨٣). فما جلس هذا الملك على اريكة الفراعنة حتى جيّش الجيوش وشنّ الغارة على البلاد الاسيويّة. وفي الكتابة التي امر بحفرها في هيكل الكرنك بعد انتصاره قد عدّد الفتوحات التي فتحها وفيها يُروَى انّ الاشوريين والحطّي (الحثيين) والفنيقيين اذعنوا لسلطانه وأدّوا له الجزية. وقد اقام تحوتمس نُصبًا كبيرًا في طريقه ببلاد ما بين النهرين دوّن بها شيئًا كثيرًا من مآثره وبها يفتخر انّهُ وسّع حدود مصر وغزا بلاد السودان وغنم بها الغنائم الثمينة من الذهب والعاج والأبنوس وانّهُ بنى البنايات العظيمة في النوبة وأقامتين وإمنا وامبوس وهرمنتيس ولاسيّما في ثيبة الكبرى (الاقصر). وكان ملك تحوتمس هذا ٥٤ سنة

ألا ان بين غزوات تحوتمس المذكور غارةً يهمّنا ذكرها قد اغار بها على قبائل كنعانية متحالفة كسرها كسرة قبيحة وفرّقها ايدي سبا بعد ان فتح عنوةً مدينة مجدّو واستولى على ما وجد فيها من الذخائر والاسلاب. وفي جدران هيكل الكرنك تجد جدول اسماء هذه

القبائل المغلوبة التي جلاها من اوطانها فقادها الى تيبة قاعدة ملكه. وفي جملة هذه القبائل اسم « يعقوب ايل » و« يوسف ايل »

يعقوب ايل Jacob-El

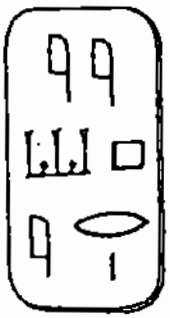

يوسف ايل Ichep-El

وليست هذه الجداول اسماء بعض الافراد كما زعم قومٌ بل هي اسماء قبائل او عشائر كبيرة وقد علّل ذلك المسيو فروف بادلّة قاطعة في رسالة كتبها للمعلّم وقليو (١ فيكون اذن معنى اسمي « يعقوب ايل ويوسف ايل » ذرّية يعقوب ويوسف. ولعلّ سائلًا يسأل: وما السبب لذكر يعقوب ويوسف دون اسباط بني اسرائيل. فنقول انّ الزمان الواقع بين تحوتمس الثالث ويوسف لم تكُ بعد مدّتهُ كافيةً ليصير لهذه الاسباط الاثني عشر اسم خاصٌ شائع عند المصريين فاجتزأ الفاتح بذكر اسم يعقوب الذي تفرّعت منهُ عشرة اسباط واسم يوسف ابي السبطين الآخرين

امّا صورة هذين الاسمين « يعقوب ايل » و« يوسف ايل » فليس فيها ما يستوجب الاندهال. فان تركيبهما تركيب قياسي على مثال اسماء سامية كثيرة تُختم بايل نحو: اسرائيل وجبرائيل وتَنْئيل وهلم جرًّا وهي اسماء تامّة اللفظ وربّما اقتصرها العامة بحذف آخرها اي بحذف الخاتمة (ايل) وهي اسم الجلال وذلك أنفةً من ابتذال اسم تعالى عزّ وجلّ او حبًّا بالاختصار كما يصنع العامّة في زماننا فيقولون مثلًا « فضلو وشكري ورزق وعبدو » بدلًا من « فضل الله وشكر الله ورزق الله وعبد الله »

١) راجع المجلّة الفرنسية : Revue Egyptol., 4° vol. fasc. 1 et 2

فينتج من ذكر بني يعقوب ويوسف في جملة الاسرى الذين جلاهم تحوتمس من بلادهم انَّ قسماً من العبرانيين كانوا طُردوا من ارض مصر مع شعب الهيكسوس فسكنوا بلاد كنعان وتحالفوا مع الكنعانيين لمقاومة الفرعون فدارت عليهم رحى الحرب وأُتي بهم اسرى مقهورين الى ثيبة . ومنذ ذلك الوقت تثاقل على ظهر بني يعقوب ويوسف وقرُ العبودية الشاقَّة فعاملهم المصريُّون معاملةً سيئة بلا رحمة ولا شفقة . وصاحب سفر الخروج يفتتح كتابهُ بوصف القوم في رقّ عبوديتهم . وفي الملخص الذي قدّمناهُ يجد القارئ اللبيب سياق الاخبار وبيان ما يوجد بين السفرين من الموافقة وان سكت صاحبهما عن امور كثيرة وقعت في الزمان الفاصل بين آخر تاريخ التكوين واوّل تاريخ الخروج

٣

ومما يخبر في سفر الخروج انَّ الملك المتولي الامر في ذلك العهد اضطرَّ العبرانيّين ان يشتغلوا اللبن ويبنوا لهُ المدينتين المعروفتين برعمسيس وفيثوم . وفي تلك الأيام كانت ولادة موسى . ولمَّا بلغ أشدَّهُ قتل مصريًّا اعتسف احد بني جلدتهِ (خروج ٢ : ١٢) فبلغ الخبر الى مسامع فرعون فطلبهُ الملك ليقتلهُ الَّا انَّ موسى كان نجا بنفسهِ عند حمي يَترو في برّية مدين . قال الكتاب الكريم (خر ٢ : ٢٣) : « وكان بعد ايام كثيرة انَّ ملك مصر مات » فامر الله موسى ان يعود الى مصر ليخلّص شعبهُ . فيُستدلّ من هذا الكلام ان نجاة الاسرائيليين جرت في أيام خلَف الفرعون السابق لانَّ الربَّ قال لنبيّهِ (خر ٤ : ١٩ و ٧ : ٧) : « امضِ فارجع الى مصر فانَّهُ قد مات جميع القوم الذين يطلبون نفسك . . وكان موسى اذ ذاك ابن ثمانين سنة »

نقول انَّ هذه الآيات الكريمة لا تنطبق تاريخيًّا سوى على رعمسيس الثاني فان اعمالهُ الرويَّة في الآثار القديمة تناسب اتمَّ المناسبة ما ورد في سفر الخروج . والدليل الاوَّل على ذلك ما وُجد في الكتابات المصريَّة انَّ رعمسيس الثاني هو الذي امر ببناية المدينتين المذكورتين في الاسفار الالهية اعني رعمسيس وفيثوم . ولو لم يكن غير هذا الدليل على مُعاصرة رعمسيس الثاني والعبرانيين لكفى بذلك برهانًا دامغًا لمراغم الجاحدين

والدليل الثاني على ان رعمسيس هذا هو فرعون موسى الذي هرب منهُ النبيّ انَّ هذا الملك كما ورد في الآثار المصريَّة جلس على منصَّة المُلك ٦٧ سنة وكذلك افصح

الكتاب الكريم عن طول ملك الفرعون لانّ موسى قضى اربعين سنة في ارض مدين قبل ان يعود الى مصر لاجل وفاة طالب قتله

ودونك دليلاً ثالثاً ذا خطارة كبرى لاثبات غايتنا. لمّا كان العلاّمة ماريت بك في تانيس سنة ١٨٦٤ اسعده الحظّ على وجود نُصب جاء فيه كتابة تاريخها سنة ٤٠٠ (١ فهذا النُصب يرتقي الى عهد رعمسيس الثاني وهو يمثل ذلك الفرعون منتصباً امام بعض آلهة مصر يقدّم له التقادم. لحضرة الاب دي كارا اليسوعي العالم الشهير قد بيّن في مجلّة التمدّن الكاثوليكي (٢ انّ الاله المصوَّر في هذا النُصب انّما هو الاله «ست رَنْهپو» امّا التاريخ الوارد في اوّل الكتاب فجاء على هذه الصورة: «في السنة ٤٠٠ الرابع من مَسْري ملك الصعيد ومصر السفلى ست آا بهتي ابن الشمس الخ ...» قال الاب دي كارا: انّ هذه السنة ٤٠٠ تدلّ على تاريخ مقرّر وابتداء هذا التاريخ هو السنة التي بها اتّخذ الاله «ست رَنْهپو» كآله الصعيد ومصر السفلى معاً. هذا وتعلمنا الآثار المصريّة انّ عبادة هذا الاله نشأت في مصر على عهد الملك اپوفيس فرعون يوسف السابق ذكرهُ. فانتشرت بين المصريين عبادتهُ وكان رعمسيس الثاني يجلّهُ ويكرمهُ حتى اقام لهُ في تلّ البسطة معبداً. فيلوح اذن من تاريخ هذا النصب انّ بين فرعون يوسف اپوفيس ورعمسيس الثاني ٤٠٠ الى ٤٣٠ سنة. وهذه السنين هي نفس السنوات التي ذكرها الكتاب المقدّس لطول اقامة العبرانيين في مصر (راجع سفر التكوين ١٥: ١٣ وسفر الخروج ١٢: ٤٠) (٣. فيتّضح جليًّا انّ الفرعون المعاصر لموسى هو رعمسيس المذكور

وهنا يليق بنا ان نزيد برهاناً آخر على ما سبق وهو اكتشاف اسم وآثار ابنة فرعون التي نجّت موسى الطفل من الغَرَق. وقد ذكر المشرق (ص ٥٨٦ و٥٨٧) تقليد الربيين في خصوص اسمها «بت يا» ويظهر ان هذا الاسم هو الذي ورد في الكتاب الاوّل من اخبار الأيام (ف ٤ع١٨) حيث يعدّد السفر الكريم اسماء «بني بِثية بنت فِرْعون».

---

١) وهذا النصب يُعرف اليوم عند العلماء «بنصب سنة ٤٠٠»

٢) Civilta Cattolica, Octobre, 1887 et seqq.

٣) قد ورد في الاسفار الكريمة اختلاف في عدد سني اقامة بني اسرائيل في مصر. فان سفر الخروج (وكذا خطية ٣: ١٧) ذكر ٤٣٠ سنة وسفري التكوين والاعمال ٤٠٠ سنة. وقد حلّل هذا الاختلاف باسباب شتّى صوابيّة يطول شرحها. والظاهر انّ العدد ٤٠٠ اجماليّ لم يُرد به التدقيق (المشرق)

وفي الترجمة السبعينية قد جاء على صورة « Bethia » واننا نوافق حضرة الاب جرون فيما كتبهُ عن توحيد اسم « بت يا » و « بت أنتا او انت » الذي ورد في الكتابات المصرية . فان هذه الآثار القديمة تثبت انَّ لرعمسيس ثلاثة اولاد خامونيس ومنفتاح وهذه الابنة بت انتا . وكان ابوها يحبُّها حبًّا شديدًا حتى انَّهُ أشركها بالملك مع اخويها . وقد وُجد قبرهـا في وادي الملكات بازاء الاقصر . فأثبت المسيو غروف في جمعيَّة العلماء المصريين (في ٢٥ كانون ١ سنة ١٨٩٥ وفي ٦ اذار سنـة ١٨٩٦) ان « بت يا » و « بت أنتا » اسمان يدلَّان على مسمَّاة واحدة . وأيَّد رأيهُ بما قرأهُ على تابوس من الصوَّان الورديّ الحجب استجلبهُ المسيو غاثيليو من وادي الملكات وفيهِ اسم الاميرة المذكورة (راجع المشرق ص ٥٨٧) . ومن غريب الاتفاق ان هذا التابوس يحفظهُ الآن المسيو غاثيليو في بيتهِ في جزيرة الروضة ليس بعيدًا عن المكان الذي أُلقي فيهِ موسى على النيل في شمالي هذه الجزيرة على مقتضى الاسانيد القديمة

٤

قد مرَّ انَّ الفرعون الذي في عهدهِ خرج بنو اسرائيل من مصر انَّما هو خلف رعمسيس الثاني . والآثار المصرية تدعو هذا الملك منفتاح وكان الثالث عشر من ابنـاء رعمسيس المذكور . وفي الكتاب الكريم بعض آيات يُشعر ظاهرها بانَّ هذا الفرعون غرق مع جيشهِ في بحر القلزم . ألا انَّ هذه الاقوال من باب المجاز المُرسـل حيث يُعزَى للقائد من الانتصار او الكسرة ما يصحُّ عن الجيش . فـلا يلزم اذن من قول الكتاب انَّ فرعون بنفسهِ قاد الجيش وتعقَّب بني اسرائيل وانَّهُ غرق في البحر . وجثَّتهُ المحنطة من جملة ما اكتشفهُ المسيو لوره في هذه السنة (راجع الجدول السابق ٨٨١)

وقد وجدنا بين الكتابات المصريَّة في متحف الجيزة ما يشير الى خروج بني اسرائيل من مصر اشارةً بيِّنة واضحة . وذلك في النصب المعروف بنُصب منفتاح اكتشفهُ منذ سنتين المسيو فلندرس بتري بين أطلال هيكل منفتـاح جنوبيّ هيكل رعمسيس المدعو (Ramesseum)

وتاريخ هذا النصب السنة الخامسة لملك منفتـاح يصف فيهِ الملك انتصارهُ على شعوب الليبيين . وفي آخر الكتابة بعض اسطر يختلف رسمها عن الاسطر العليا وكاتبها غير كاتب القسم الاوَّل . وفي هذه الاسطر الاخيرة ذكر انتصار منفتاح على يانوم وعلى سوريَّة

ورد لاوّل مرّة اسم اسرائيل كما رُوِي في المشرق (راجع المشرق ص ٥٨٦) في عبارة ترْدن بما في قلب صاحبها من البُغض للعبرانيين وسروره برحيلهم عن ارض مصر. والعبارة المذكورة هي : « انّ اسرائيل صار عتيداً ولا يعود يأتي بعقب ». فانّ هذه الفقرة الواردة في اثر كتابة خُصّت بمديح فرعون وذكر فتوحاته تدلُّ على انّ صاحبها يرغب بتعظيم مليكه. فانّهُ يعتبر خروج بني اسرائيل من ارض مصر كظفرٍ فاز به المصريُّون على اعدائهم العبرانيين رغماً عمّا لحق بهم من الخسارة بغرق جيوشهم. ولذلك كتب هذا الكاتب فرحاً « انّ اسرائيل صار عتيداً » يلمح بذلك الى تكاثر بني اسرائيل وغوّهم العجيب في ارض مصر سابقاً. وقولهُ « فلا يعود يأتي بعقب » يريد بهِ انّ بني اسرائيل لا يعودون يجلبون البلايا والضربات على المصريين ولا يدنّسون بلادهم بوجودهم فيها. فهذا رأْينا في هذه الفقرة الاخيرة وليست كما زعم البعض اشارة الى انتصار منفتاح على العبرانيين في ارض كنعان

ولنختم كلامنا باستلفات نظر القرّاء الى اثر مصريّ آخر يُحفَظ اليوم في متحف برلين وهو تمثال عظيم للملك منفتاح يبهر نظر الداخلين لاوّل وهلةٍ. وقد مُثّل مع الملك ابنهُ البكر وكان جعلهُ شريكاً للملكهِ كما يُستدلّ على ذلك بالتاج الملكيّ الذي على رأسهِ ولقبهِ الملكيّ « اياشيس ». وهو يدعى ايضاً في الكتابة المرقومة على التمثال باسم منفتاح كابيهِ. لكنّهُ قد أُتبع اسمهُ بوصف « خروما » معناهُ « المبرَّر » او « السعيد » وهو وصف مخصوص بالموتى. قال المسيو لوث (Lauth) : « لا يشطُّ في يقينهِ من يرتأي انّ هذا الامير الشابّ المتوفّى قبل ابيهِ هو ابن فرعون الذي ورد ذكرهُ في سفر الخروج (٤ : ٢٣) حيث يقول الربّ : « قل لفرعون . . أطلق عبدي ليعبدني وان أبيتَ ان تُطلقهُ فهاءنذا قاتل ابنك البكر » وقد حقّق الله وعيدهُ بالفعل كما جاء (خروج ١١ : ٥) : « كذا قال الربّ اني نحو نصف الليل اجتاز في وسط مصر فيموت كلّ بكر في ارض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشهِ الى بكر الأمة التي وراء الرَّحى »

(قُلنا) قد صدق المسيو لوث في قولهِ هذا عن ابن فرعون. ونحن ايضاً نقول انّهُ لا يشطّ في يقينهِ من يعتقد ما اثبتناهُ سابقاً ان الفرعون الذي ذُكرت اعمالهُ السيئة نحو اسرائيل في بدء سفر الخروج هو هو رعمسيس الثاني اي سيسوستريس الكبير وان الشعب

العبراني تخلّص من رق عبوديّة المصريين في ايّام ابنهِ منفتاح. وكان ذلك نحو سنة ١٣٥٠ قبل المسيح

وبعد نجاة اسرائيل من مخالب مصر انفصمت العلائق بين شعب الله والفراعنة مدّة سنين عديدة

الهواء الجوّي وميزان ضغطهِ (البارومتر)

للاب غدفريد زمّوفن اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في كلّية القديس يوسف

(تتمّة)

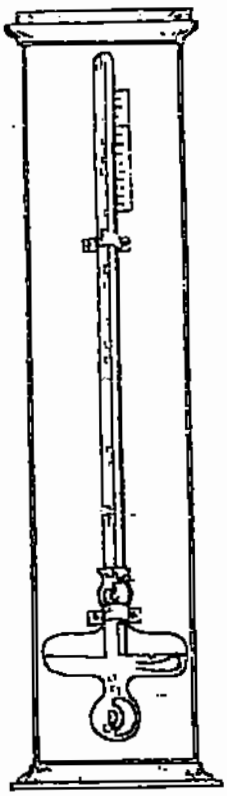

الشكل الرابع. البارومتر العادي

للبارومتر ثلاث فوائد سنبسط الكلام عنها: الاولى قياس ضغط الهواء الجوّي وثقلهِ. الثانية الاستدلال على تغيُّر احوال الجوّ. الثالثة تعريف علوّ الجبال

١ قياس ضغط الهواء الجوّي

اذا ما امعنّا النظر في حقيقة البارومتر وجدنا أنهُ والميزانَ سواء بيد انّهُ يفضل كلّ الموازين الماديّة من حيث الشعور لانهُ يُبدي للعيان التقلّبات الطارئة على ثقل الهواء ولو كانت نهايةً في الدقّة. فان لحظتَ مثلاً بارومتر الزئبق وجدتَ انّ ضغط الجوّ على سطح الزئبق في الوعاء سواء ثقل الهواء او خفّ يناسبهُ ارتفاع الزئبق او هبوطهُ في خزانة الانبوب المفرّغة (راجع الشكل الرابع). وكذلك البارومتر المعدني فانّ ثقل الهواء وخفّتهُ يدلُّ عليهما العقرب بسيره على يمين المينا او شمالها على حسب ما يضغط الهواء الصفيحةَ المعدنية الموصوفة سابقاً او يخفّ ضغطهُ عنها

ثمّ اعلم انّ من يرصد البارومتر في مكان واحد مدّة ايّام متتابعة لا يلبث ان يلحظ فيهِ اختلافاتٍ